طرح الزيتون

سهير عوض

مؤسسة يسطرون للطباعة والنشر والتوزيع

رئيس مجلس الإدارة

عماد سالم

المدير العام

أحمد فؤاد الهادى

مدير الإنتاج

أحمد عبد الحليم

الطبعة الأولى
الكتاب : طرح الزيتون
المؤلف : سهير عوض الجارحي
تصنيف الكتاب : رواية
تصميم و إخراج : أحمد عبد الحليم
المقاس ١٤ × ٢٠
رقم الإيداع : ٢٥١٣٠ / ٢٠١٧
الترقيم الدولى : 978 - 977 - 776 - 549 - 7

العنوان : المكتبة والمطبعة : ٣ ش صفوت - محطة المطبعة شارع الملك فيصل - الجيزة

التليفون : ٠١٢٢٩٣٠٠٠٢٩ - ٠١١٥٧٧٦٠٠٥٢

Email : yastoron@gmail.com

موقعنا على الفيس بوك : مؤسسة يسطرون لطباعة وتوزيع الكتب

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

إلى عهد التميمى شموخك أحنى رقاب الكثير من الرجال

الإهداء

إلى حبات قلبي أحفادي

علي ،يحي ،رقية ،تميم

شخصيات الرواية

(هـزاز الأكـبر مؤسـس المملكـة التـى سـميت باسـمه وهـو متـوفى منـذ القـدم)

١. الملك هيرو حاكم المملكة

٢. الملكة سيرو زوجة الملك هيرو

٣. هيرام ابن الملك هيرو

٤. هزاز الأصغر ابن هيرو وحفيد الملك

٥. يورا ابنة هيرو وحفيدة الملك

٦. روجا زوجة هيرام وابنة وزير الإسكان

٧. سنجو الوزير الخائن

٨. نوني وصيفة الملكة سيرو

٩. سنو زوجة هزاز الأصغر وابنة حاتي

١٠. حاتي رفيق هيرام وقائد فى الجيش

١١. الملك سنغور «ملك مملكة سنغور»

١٢. الملك كابو «ملك مملكة كابو»

١٣. راكو «زعيم قبيلة راكو الغازية»

١٤. غوال «رئيس الأغوال»

١٥. رانجو الخائن جد سنجو

١٦. فابي زوجة سنجو

١٧. طبيب الصحة

١٨. رئيس الجيش

١٩. وزير العمال

٢٠. وزير الإسكان

فى بلاد من أجمل ما يكون حيث التاريخ العريق والقدسية والطبيعة الخلابة وتحت أشجار الزيتون التي حباها الله لهذه البلاد أقامت هناك أسرة من النمل فى مملكة عريقة كعراقة أشجار الزيتون فى هذه الأرض المباركة نسبة للجد الأكبر هزاز الأول صاحب الفضل فى إنشائها، كانت متميزة في كل شيء «النظام ـ التعاون ـ الشجاعة ـ الأصل العريق».. فهي من أجود سلالات النمل والأطول عمرًا، كان الحكم يسير فى المملكة بالوراثة، والكل متفان فى حب الأسرة الحاكمة ومستعد لفدائها بروحه، وكذلك الأسرة لا هم لها إلا سعادة أبناء المملكة وراحتهم من إنشاء الأنفاق والطرق إلى توفير الطعام والرعاية الصحية وفوق ذلك غرس الانتماء لعقيدتهم الوطنية .

وكان الحاكم وهو «الملك هيرو» يشبه جده الأكبر فى كل شيء الخَلق والخُلق، لذا أحبته المملكة كثيرًا لكن لم يعش له إلا ابن واحد «هيرام»، ولأنه وحيد صار مدللاً بعض الشيء وكان هذا لا يُعجب أباه، فهو يريده قويًا ليقوم بشؤون الحكم، وهو لا هَمّ له إلا اللعب والسياحة فى أرجاء المملكة حتى ضاق به أبوه، وقال لزوجته الملكة «سيرو»:

ـ أفسدت الابن بتدليلك له.

ـ لا تكن قاسيًا، ماذا فعل لكل ذلك ؟!

ـ إنه أهوج أرعن، كثرت شكاوى المملكة منه.

ـ إنه وحيد فلا تضيق الخناق عليه.

ـ لقد كبر سني، وهو ولي العهد لابد أن يتحمل المسئولية، سأزوجه لينصلح حاله، وأري أحفادي قبل موتي.

ـ هذا والله نعم الرأي.

ـ ما رأيك فى «روجا» ابنة وزير الإسكان؟

ـ الرأي له أولا.

ـ أين هو؟

تلعثمت الملكة..

ـ آه منك كعادتك تدارين عليه، يا ويل المملكة من إناثها.

نادي الملك على الحارس قائلا:

ـ ابحث عن ولي العهد فى كل مكان بالمملكة وأخبره أن يحضر إلى قصر الحكم فورًا.

وقف ولي العهد «هيرام» أمام أبيه خافض الرأس، ألقي التحية ثم قال:

ـ أمرك يا مولاي، لو أردت نجمًا من السماء لوضعته بين يديك.

ضحك الملك قائلا:

ـ هكذا أنت يا هيرام، تغلبني بحسن حديثك، لدي مفاجأة لك.

ـ خير يا والدي ؟.

ـ لقد قررت أن تتزوج.

ـ نعم الرأي رأيك.

ـ إذن ما رأيك فى «روجا» ابنة وزير الإسكان.

ـ جميلة، ممشوقة القوامٍ، ومن أصل عريق.

قال الملك مسروراً:

ـ أأعتبر هذا موافقة منك ؟.

ـ ومتى اعترضت على رأي رأيته ؟!

ـ إذن سيكون حفل الزفاف أول جمعة فى الشهر القادم، ليخرج المنادي ويعلن ذلك فى كل أرجاء المملكة.

ـ ورأي العروس يا أبى ؟

ضحك الأب قائلاً:

ـ طبعاً هى فى غاية السعادة، ستصير زوجة ولي العهد.

كان الزواج ليلة من ليالي المملكة، أغدق الملك بهذه المناسبة الكثير من العطايا على رعاياه، وانتقل ولي العهد بعروسه إلى القصر المجاور لقصر الحكم.

بعد فترة جاء أول حفيد للملك، أراد أبوه هيرام أن يسميه على اسم جده «هيرو» وكان للملك رأي آخر، فقد اسماه على اسم جده الأكبر «هزاز» فصار الحفيد «هزاز الأصغر»

كبر الحفيد وكان يشبه جده «هيرو»، الذى كان يقضي معه معظم وقته، فعلمه فنون الصيد والمحاربة، وحكي له الكثير عن المملكة وعن جده الذى سُمِيَ باسمه، فى حين كان هيرام مشغولاً بالأسفار لا يميل إلى الجدية، ويعتمد على أبيه فى إدارة أمور المملكة.

وفى ليلة من الليالي الشاتية هبت رياح عاتية جلبت معها أعاصير كالطوفان أصابت أشجار الزيتون التى توجد تحتها المملكة، وكان لذلك بالغ الأثر عليها فانهدمت بيوت كثيرة، ومات الكثير من أفرادها، حزن الملك حزنًا شديداً وكذلك هيرام فقد رأي بعينيه ابنه هزاز وقد أوشك أن يهلك بالطوفان لولا عناية الله التى أنقذته.

عقد الملك مجلسًا موسعًا لمناقشة الأمر بعد الحادث الأليم

قال لهم:

ـ أنتم تعلمون أن خسارتنا فادحة فى المؤن والبيوت وفى الأرواح أيضًا.

قال ابنه هيرام:

ـ وماذا عن أشجار الزيتون.

قال الملك:

ـ إنها أقوى من الأعاصير، ستصمد بإذن الله، وقد رأيت بعد التفكير أن نحفر نفقًا طويلاً يصلنا بمن حولنا، لنأتي للمملكة بما نحتاجه ونطلب الإغاثة من جيراننا.

رد الوزير سنجو:

ـ رأيك صائب يا مولاي، فالنفق يوفر لنا سهولة الاتصال بهم، وهم لن يتأخروا عن إغاثتنا فكم من مرة مددت لهم يد العون حتى استقرت أمورهم.

هيرام:

ـ حقا لقد زرت ممالكهم ولهم طرق تربطها بحدائق للفواكه وحقول للخضروات لذا يعيشون فى ترف وبذخ.

قال الملك:

ـ أنت يا سنجو تذهب إلى مملكة سنغور تشرح الأمر للملك فهو كما تعلم يحيا فى رغد من العيش وعدد مملكته قليل رغم اتساع مساحتها.

ـ أما أنت يا هيرام، فاذهب إلى مملكة كابو، أنا أعلم أن لك أصدقاء هناك، لذا ستكون مهمتك سهلة بإذن الله.

أكمل الملك قائلا:

ـ ليس لدينا وقت فقد أقبل الشتاء، وإذا لم نوفر المؤن سيهلك بالجوع من لم يهلك بالإعصار، فقد جرف الإعصار البيوت بما فيها من طعام مخزون.

هيرام مطمئنًا والده:

ـ لا تقلق يا مولاي ستمر الأزمة بسلام.

آوي الملك إلى حجرته حيث زوجته الملكة سيرو تنتظره... وقد أحضرت الوصيفة «نوني» الطعام.

الملك بحزن: لا أريد طعامًا.

زوجته بحنان:

ـ مولاي منذ الإعصار وأنت لا تتناول من الطعام إلا القليل حتى أثر ذلك على صحتك.

ـ أخشي أن يكون ذلك بداية هلاك مملكة هزاز، هذه الأرض المقدسة أمانة جدي، ترابها رفات أجدادي.

ـ قالت الملكة هل نسيت هذه الأرض المباركة كم قاومت من أزمات وأعداء، الله حاميها وستمر الأزمة بإذن الله.

ـ مات الكثير من الرعية، وسيهلك الباقون إن لم أستطع توفير طعام لهم وبناء بيوت تأويهم فى الشتاء القادم.

ـ لا داعي للقلق، سيأتي الله بالفرج، أما الآن فلدي لك خبر سار.

ـ لقد صارت لك حفيدة جميلة تشبهك تمامًا، بما تسميها ؟

ـ حمداً لله، اسميها «يورا». ما رأيكِ ؟

ـ رائع، فلنذهب معًا إلى «روجا» تهنئها وتبارك حفيدتك.

كان العمل يسير فى المملكة فى غاية النظام، والملك يباشره بنفسه حتى يعود هيرام والوزير سنجو من سفرهما.

وبعد أيام عاد سنجو ببعض الهدايا مع وعد بإرسال بعض المؤن خلال أيام، أما هيرام فقد باءت زيارته بفشل ذريع حيث اعتذر له ملك كادو قائلاً:

ـ أيها الأمير، أقبل الشتاء، والمؤن تكفينا بالكاد.

كان هيرام غاضباً ثائرًا لموقفه، أما الملك هيرو فعقب قائلاً:

ـ هذا ما كنت أتوقعه.

ـ لا أدري كيف ينسى مساعدتك له، لانتقمن منه بعد أن تستقر أمورنا.

زجره الملك بغضب:

ـ إياك أن تتفوه بذلك، أتريد أن يُقال إن الملك هيرو حفيد هزاز الأكبر يقتل أبناء عشيرته، هذا لن يكون.

قال سنجو محاولاً تهدئة الملك:

ـ أعـذره يـا مـولاي، هـو أكيـد لا يقصـد ذلـك، إنـه فقـط غاضـب مـن موقفـه.

ـ لا تدافـع عنـه يـا سـنجو، لابـد أن يكـف عـن تهـوره ويتحلى بضبـط النفـس، أنـا فى أيامـي الأخـيرة وهـو ولي العهد، ولا تسـتقر مملكـة ملكهـا متهـور يقيـس الأمـور بغضبـه.

ـ معـذرة يـا أبي، أطـال الله عمـرك، أعـدك ألا أحيـد عـن طريقـك أبـدًا.

***

مـرت الأيـام وتدهـورت أمـور المملكـة، فالنفـق أمامـه وقـت طويـل، وأبنـاء المملكـة فى هـزال لاقتصادهـم فى الطعـام مخافـة المجاعـة، والطرقـات صـارت صعبـة مـن أثـار الطوفان.. وكلـما خـرج فريـق لجمـع الطعـام هلـك منـه الكثـير.

وفى ظـل هـذه الظـروف أتي فـوج يشـبه النمـل قـوي البنيـة، كبـير الحجـم مختلـف فى الشـكل كثـيرًا عنهـم، وطلـب زيـارة الملـك هـيرو، ذهـب سـنجو إلى الملـك ليخـبره فسـأله.

ـ هل تعرفهم يا سنجو؟

ـ لا يا مولاي، هذه أول مرة أراهم فيها.

استغرب الملك وتساءل فى نفسه «من يكونون وماذا يريدون منه فى ظل هذه الظروف الصعبة»؟!

أذن الملك لهم بالدخول كما تقتضي قوانين المملكة، أن لا يردون زائرًا لهم أو طالبًا للمساعدة حتى لو لا يعرفونه.

وفى حضرة الملك تكلم رئيس الفوج ويُدعي «راكو»:

ـ تحياتي للملك هيرو.. لا أستطيع أن أعبر عن بالغ سعادتي للقائك أيها الملك العظيم.

ـ مرحبا بك فى مملكتي على كل حال، لكن من تكون؟ ومن أين أتيت؟ وما حاجتك؟

ـ مولاي أنا «راكو» ومن معي بعض أفراد قبيلتي «راكو» نسبة لجدي الأكبر، ونحن عشيرتك فرقت بيننا الأيام والظروف وقد تفرقنا فى الأرض وأصابنا كرب عظيم وتعرضنا للاضطهاد من بعض الممالك ومات منا الكثير ولأن بيننا رابطة دم منذ قديم الأزل قررنا الرجوع لأرضنا، أقصد أرضكم لرؤيتكم والوقوف بجانبكم فى محنتكم

ـ وكيف عرفت؟!.

ضحك راكو بخبث:

ـ يـا مـولاي مملكـة هـزاز ليسـت قليلـة الشـأن حتـى تُخفـي أخبارهـا، والإعصـار علـم بـه الجميـع، لكـن للأسـف مملكتـك هـى الوحيـدة التـى تأثـرت بـه.

ـ الحمـد لله عـلى كل حـال، أهـلاً بكـم ضيوفـاً فى أرضى، لكـن كـما تعلمـون قانـون المملكـة لا يسـمح بتدخـل الأغـراب فى أمورنـا.

ـ أخبرتـك يـا مـولاي، نحـن أبنـاء عشـيرتك وإن اختلفـت أشـكالنا بعـض الـشيء.

قال الملك:

عموماً أنتم ضيوفي حتى اتخذ قرارًا في عرضكم.

قال راكو:

ـ تفضـل يـا مـولاي هـذه بعـض الهدايـا لـولي عهـدك وأحفـادك وهـذه لأبنـاء عمومتنـا مـن المملكـة.

تغـير وجـه الملـك، فقـد تذكـر مـا حـكاه جـده لـه عـن هجـمات عـلى أرضهـم المقدسـة مـما يزعمـون أن لهـم حـق فيهـا لكـن جـده هزمهـم ولم يتمكنـوا مـن شـبر مـن الأرض لـذا

لم يطمئـن لهـم .. ورئيسـهم هـذا يبـدو خبيثًـا ماكـرًا، ولـولا أصـول الضيافـة مـا أبقاهـم يومًـا واحـدًا.

مال عليه وزيره، وهمس فى أذنه:

ـ لا ترفـض هداياهـم يـا مـولاي، أنـت تعلـم مـا نحـن فيـه.. نحـن مهـددون بالمجاعـة، والأمـر قابـل للتشـاور.

فكر مليًّا ثم أخبرهم أنه قد قبل هداياهم.

ضحك راكو بخبث ظنًّا منه أن الملك قد ابتلع الطُعم.

بدا الملك مهمومًا مشغول البال، سألته زوجته:

ـ مـا بـك يـا مـولاي، إن الهدايـا التـى جـاءت ستسـاعدنا حتـى تـزول الغمـة.

ـ إن الهدايا هي همي يا سيرو.

ـ ماذا تقصد؟ وهل تشك فى هؤلاء الأغراب ؟.

ـ إنهـم قسـاة الوجـوه، وأنـا أري المكـر والخديعـة فى عينـيّ رئيسـهم راكـو.

ـ إذن فلتطردهم.

ـ يـا أمـيرتي، هـذا لا يجـوز، هـل نسـيت أصـول الضيافـة؟ لهـم حـق علينـا حتـى ننظـر فى أمرهـم.

ـ لكنك الملك والأدري بما يصلح لنا.

ـ والملـك لا يسـتبد برأيـه، لذلـك سـأعقد مجلـس الشـورى بالقـصر.

وفى الاجتماع....

بـدأ الملـك بالحديـث معلنًـا عـن الأغـراب وعرضهـم السـخي، حـدث ضجيـج وتعالـت الأصـوات مـا بـين معارض ومـن رأى أنهـا فرصـة تعينهـم عـلى تخطـى الأزمـة.

قال الوزير سنجو:

ـ أري يـا مـولاي أنهـم أتـوا فى الوقـت المناسـب، فهـم أقوياء نسـتطيع اسـتغلالهم فى حفـر النفـق وتوفـير مؤونة الشـتاء.

هيرام معترضًا:

ـ نحـن أولى بأرضنـا، لابـد أن نعتمـد عـلى أنفسـنا ولا نسـمح للأغـراب بالتدخـل فى شـؤوننا.

قال وزير العمال:

ـ يا مولاي صار العمال ضعافًا من قلة الزاد ووطأة الظروف، ولا أري مشكلة فى الاستعانة بهم ولو حتى بالأجر.

قال وزير الإسكان:

ـ لدينا مشكلة فى إقامتهم، فقد تهدم الكثير من البيوت ولو أتوا بآخرين منهم ليساعدونا سيحتاجون بيوتًا كثيرة حتى يفرغوا من العمل.

قال رئيس الجيش:

ـ هناك مشكلة أخرى يُحتمل ظهورها مع الوقت، ماذا لو رفضوا الخروج من أرضنا بعد تقديمهم المساعدة، حينها لن يكون أمامنا إلا محاربتهم وستكون الحرب غير متكافئة فكما يبدو لديهم الكثير من الفنون العسكرية والأدوات التى لا نعرفها، وربما هناك من يساعدهم فى الخفاء ليتخذوا موطنا لهم فى أرضنا.

الوزير سنجو:

ـ لي رأي يا مولاي، ماذا لو قبلناهم بشروطنا، كأن نعقد ميثاق عمل لا أكثر بمدة محدودة بلا إقامة لنحمي المملكة من هلاك منتظر.

قال هيرام في إصرار وغضب:

ـ لن يحمي المملكة إلا أبناؤها.

سنجو بتهكم:

ـ أنت من تقول ذلك، وأسفارك أكثر من إقامتك بيننا.

الملك بغضب:

ـ التزم حدودك أيها الوزير، كيف تخاطب ولي العهد بهذه اللهجة وفى حضرة الملك، أنسيت نفسك.

الوزير سنجو:

ـ معذرة يا مولاي.

هيرام فى تحدٍ:

ـ إن أسفاري ليست معناها عدم ولائي فهذا ميراث أجدادي، ربما كنت أعتمد على الملك، لكن الآن الأمر مختلف فنحن فى خندق واحد، وسوف أشرف بنفسي على

العمل فى النفق، ولن يحرس المملكة إلا أهلها.

كان القرار بالإجماع، رفض عرضهم ولهم حق الضيافة ثم يعودون من حيث أتوا.

ارتاح الملك لهذا القرار، وسعد بحماس هيرام، وقد ظن أنه لن يقدر على تحمل مسئولية العرش، لكن يبدو أن هيرام يحمل فى قلبه شجاعة لا تظهر إلا إذا لزم الأمر، وحبًّا للمملكة لا يظهر إلا فى الشدائد.

بعد انتهاء الاجتماع انصرف الجميع إلا هيرام بقي مع والده الذى قال له بحب:

ـ تعال فى حضني يا ولدي، سعادتي بك اليوم لا مثيل لها، الآن أدركت أن مملكة هزاز لن تنهار، طالما ملوكها بهذه الروح من الشجاعة والفداء.

قال هيرام:

ـ سامحني يا والدي لقد أرهقتك كثيرًا بطيشي، من الآن لا تحمل همًّا، فمنذ رأيت ولدي هزاز وقد أوشك على الموت، شعرت بك وبهمومك، وقررت حينها تحمل المسئولية معك.

ـ حمـدًا لله، دعنـا الآن مـن الحكـم ومشـاكله، هـل رأيـت يـورا كـم هـي جميلـة ورقيقـة.

ـ حقـاً، لقـد ملكـت قلبـي حتـى شـعرت أن هـزاز بـدأ يغـار منها .

ـ لا، هـزاز الملـك المرتقـب، أمـا يـورا فهـي زهـرة المملكـة، مـا رأيـك أن تجتمـع الأسرة المالكـة عـلى طعـام الغـداء ؟ أم تريـد أن تخلـو بروجـا لتبثهـا أشـواقك.

ـ عـلى الرحـب والسـعة، سـنكون فى ضيافتـك بعـد قليـل، ذهـب هـيرام ليُحـضر أسرتـه، فى حـين دخـل الملـك حجرتـه ليخـبر سـيرو أن تسـتعد بطعـام الغـداء لـلأسرة جميعًـا.

التفـوا حـول الطعـام، يـورا وهـزاز بجـوار جدهمـا يطعمهما بنفسـه، سـأله هزاز:

ـ ماذا نويت أن تفعل يا جدي مع هؤلاء الأغراب ؟

ضحكت جدته قائلة:

ـ لا تزال صغيرًا على أمور الحكم يا ولدي.

قال الملك بجديه:

ـ لم يعد صغيرًا، أنه الأمير هزاز، ما رأيك أنت أيها الأمير ؟

هزاز بثقة:

ـ لا مكان للأغراب بيننا، ومشاكلنا نحن أولي بها، وأنا سأشارك بنفسي فى حفر النفق، ولا حاجة لنا بهداياهم.

ارتسمت على وجه الملك ابتسامة عريضة وقال بفخر

ـ هكذا يكون الملك، أحسنت صنعًا وقولاً.

دخلت الوصيفة نوني عليهم تحمل بين يديها طعام.

سألتها الملكة:

ـ ما هذا يا نوني ؟

ـ هذا من صنع الضيوف يا مولاتي، أرسلوه هدية لأحفاد الملك.

ـ أطعميه لأبنائك، لا حاجة لنا به.

سأل هيرام جده:

ـ متى سيرحلون ؟

ـ أجابه الملك أن أقامتهم بينهم مدة الضيافة وبعدها لا حجة لهم للإقامة.

أمضي الملك وقتًا ممتعًا وسط أسرته أنساه بعض الشيء همه، فآوي إلى فراشه هادئ النفس مرتاح البال لقرار خروج الأغراب من المملكة، وهو لا يدري أن الخيانة قد تكون من أحد أعوانه أيضا.

ففي ظلمة الليل كان سنجو متخفيًّا يقابل راكو حيث دار بينهما هذا الحوار، قال راكو بغضب:

ـ لقد فشلت خطتك يا سنجو، بضعة أيام ونخرج من المملكة.

سنجو حانقًا:

ـ لقد فاجئني هيرام بحماسه، وقد أيد قرار الرفض.

راكو:

ـ وماذا سنفعل الآن؟

سنجو بخبث:

ـ لا تقلق لدينا الكثير من الحيل، هل أرسلت الطعام المسموم للأحفاد؟.

راكو بغل:

ـ طبعًا، وبعد فترة سيظهر عليهم المرض وبعدها الوفاة.

سأله سنجو:

ـ وماذا عن جيرانك؟ لقد اخترت لك ضعاف النفوس لتغريهم بديار أوسع خارج المملكة مقابل ديارهم هنا.

قال راكو للأسف لم يستجب لي إلا قلة فالكل متمسك بأرضه ومن استجاب ذهبوا معي خلسة ورأوا ديارهم الجديدة وهى كبيرة ومملؤة بالغذاء لكن خارج مملكة هزاز وسيرحلون بعد انتهاء مدة الضيافة كما اتفقت معهم، أما من رفض الذهاب معي فقد وزعت عليهم الطعام الذى يصيبهم بالعقم أو الشلل أو الموت ببطء حتى لا يلحظ أحد.

ضحك سنجو ضحكة خبيثة وقال بغل:

ـ رائع، هذه بداية النهاية لمملكة هزاز، وبداية مملكة سنجو

قال راكو:

ـ لا تنسي لقد وعدتني أن أكون وزيرك.

وقف سنجو وضرب الأرض برجله ثم انصرف قائلاً :

ـ سنجو لا ينس أعوانه، اذهب الآن قبل أن يراك أحد.

دخل على «فابي» زوجته سألته:

ـ أين كنت؟. لقد انتظرتك على العشاء، لدينا طعام جديد من صنع الضيوف.

صرخ فى وجهها:

ـ لا أريد طعامًا منهم، وإياك أن تأكلي منه.

هي في ذعر:

ـ ماذا بك؟ أتعلم شيئًا لا يعلمه الملك.

ارتبك ثم استجمع نفسه وأخبرها أن كل ما فى الأمر أن الملك قرر عدم قبول مساعدتهم.

لم تصدقه زوجته وقالت:

ـ قلبي يحدثني أنك تُخفي شيئا، أو أنك تخطط لأمر ما.

نهرها بشدة:

ـ لا شأن لك بأمور الحكم.

اختلي سنجو بنفسه يحلم باليوم الذى يؤول الحكم إليه فيه، وما هذا إلا لغل فى صدره طواه سنين طويلة، ملأه كرهًا للملك بل لمملكة هزاز كلها، فالملك هزاز الأول فى أيام حكمه أمر بنفي «رانجو» جد سنجو الحالي لثبوت خيانته، فتشرد حينها ولم تقبله أي مملكة حتى هلك، ولم يبق إلا سنجو، كان حينها طفلاً صغيرًا في كنف أمه التى كانت تحب المملكة فعادت إليها، وطلبت العفو من الملك هيرو، وتوسطت لها الملكة سيرو، فعفا عنها ومنحها دارًا وأغدق عليها العطاء، وكبر سنجو وهو يظهر الولاء لهيرو ليؤكد له أنه غير جده حتى وثق فيه الملك وعينه وزيرًا له لشدة ذكائه واتساع خبرته، لكن ها هو يضمرها لهم ويُعيد تاريخ جده الملوث ويخون من أحسن إليه ويستعين بالأغراب عليه، وهو لا يدري ما يُدبر له، فبعد انصرافه إلى منزله، كان راكو له لقاء آخر مع رجاله ليخطط لما يريده، قال بغرور:

ـ هـذا الغبـي، يظـن أننـي أسـاعده ليأخـذ هـو الحكـم، معتـوه.

سأله أحد رفاقه:

ـ ماذا تنوي يا سيدي؟.

ضحك بخبث.

ـ أنـوي أن أعتـلي عـرش المملكـة، وحينهـا سـتكون رقبـة سـنجو أول مـن أقطعهـا.

ـ لكنه ساعدك كثيرًا.

ـ ولذلـك سـأتخلص منـه، مـن لا خـير لـه فيمـن أكرمـه ورعـاه، لابـد مـن التخلـص منـه ومـن شره.

وفى صبـاح اليـوم التـالي أتـت الوصيفـة للقـصر، وقـد بـدا عـلى وجههـا الحـزن.

سألتها الملكة سيرو عما بها.

أجابتها وهى تبكي

ـ صغـاري يـا مـولاتي منـذ الأمـس يعانـون مغـص بـلا سـبب.

طمأنتها الملكة وأعطتها دواء للهضم قائلة:

ـ ربما يكون سوء هضم أو يكونوا أسرفوا فى الطعام أمس.

ـ شكرتها الوصيفة وسألت:

ـ هل ستخرج مولاتي الصغيرة للتريض.

أجابتها:

ـ لا داعي للخروج من القصر حتى يغادر الأغراب المملكة، أنت تعلمين أنها قرة عين الملك وهو يخاف عليها من أي شيء اذهبي لرعاية صغارك.

انصرفت الوصيفة داعية للملكة وأحفادها.

ـ بارك الله فيك يا مولاتي، ووقى أحفادك كل مكروه.

وفى المساء كان الملك يقابل راكو حيث أبلغه بإجماع مجلس الشورى على رفض مساعدة الأغراب أو الإقامة لهم أكثر من مدة الضيافة.

أظهر راكو الحزن والأسى قائلاً:

ـ كنت أظنك يا مولاي ستقبلني فى مملكتك، لقد حكي لي جدي عن جدك وكرمه وحسن ضيافته.

ـ لا تخلط الأمور يا راكو، لقد أحسنا ضيافتك، لكن المملكة تمر بأزمة وأبناؤها أولي بالديار من غيرهم.

ـ نحن يا مولاي لدينا الكثير من العلم لبناء القصور وحفر الأنفاق وكذلك بناء الكباري، كل ذلك أضعه بين يديك لتستفيد منه.

ـ الملك بحزم: للمملكة قانون لابد لي أن أحترمه، لكن أخبرني أين تقيمون ؟!

ارتبك راكو لهذا السؤال الذى لم يتوقعه فلم يجد ما يرد به.

قال الملك باستغراب:

ـ ما بك ؟ ألا تعرف أين تُقيم ؟

راكو مظهرًا الضعف والمسكنة على وجهه:

ـ كنا يا مولاي نُقيم فى ديار بعيدة شديدة البرودة، حتى تفرقنا جميعًا كل منا يبحث عن مكان يناسبه، ومملكتك أطال الله بقائها من أحسن الممالك مناخًا وأرضًا

لـو تُعطينـي الفرصـة أجعلهـا لـك جنـة مـن جنـان الأرض.

ـ أنـا ممنـون، تسـتطيع أن تبحـث عـن أرض تناسـبك تعمرها برجالـك حتـى تجعلهـا مـن جنـان الأرض وتصـير ملـكًا عليها.

كتم راكو غيظه وقال:

ـ سأحاول يا مولاي، أشكرك على النصيحة.

خـرج راكـو وهـو فى قمـة الحنـق والغضـب يتوعـد كل أفراد مملكـة هـزاز بالهـلاك القريب.

وفى ليلـة انتهـاء مـدة الضيافـة كان سـنجو فى الظـلام يقابـل راكـو.. سـأله:

ـ ماذا نويت؟

ـ سـأرحل فجـرًا ثـم أعـود ببعـض جنـودي لأخـذ البيـوت التـى اشـتريتها.

ـ وبعدها.

ـ بعدها الحرب والدمار لمملكة هزاز.

حذره سنجو:

ـ إياك وقصري.

هو بخبث:

ـ يا سيدي إنك الملك المرتقب، لا داعي للخوف.

رحلت الأسر التى باعت بيوتها ومن بعدها رحل راكو ورجاله.

وفى الصباح أتى طبيب الصحة لمقابلة الملك فى أمر عاجل:

ـ مولاي هناك شيء غير طبيعي فى المملكة، معظم الرعايا يشكون من آلام مختلفة غريبة عن المملكة.

ـ كلامك يوحي بشيء، هل تشك فى أحد.

ـ بصراحة يا مولاي، أشك فى الطعام الذى آتي به الأغراب.

ـ أتقصد أنهم تعمدوا ذلك ؟.

ـ ربما، أنا أقرر ما رأيته.

ـ حزن الملك وأمر الطبيب أن يبذل ما فى وسعه لعلاج من أصيب.

وقبل أن يخرج الطبيب من القصر، حضرت الملكة سيرو وطلبت منه أن يذهب لحجرة الوصيفة فأبنائها في حالة احتضار ربما يستطيع فعل شئ.

بعد الكشف عليهم قال:

ـ أسف يا مولاتي لا أستطيع فعل شيء، لقد تناولوا سمًّا.. سماً يُحدث شللاً بالمعدة والقلب ببطء فإذا تمكن من الجسد لا أمل فى علاجه.

جلست نوني بجوار صغارها تبكيهم والملكة سيرو تحاول مواساتها، فى حين أسرع الطبيب إلى الملك ليخبره بهذا الأمر الخطير، فقد تأكد من شكوكه.

سمع الملك ما قاله الطبيب ثم قال:

ـ لم يفعلها إلا راكو، وكانت شكوكي فى محلها...

ـ اتجه إلى الطبيب قائلاً:

أرجوك حاول إنقاذ باقي أفراد المملكة والله معنا.

أصدر الملك أوامره بجمع ما تبقي من هدايا الأغراب وطعامهم والتخلص منها.

مات صغار الوصيفة، قال هيرام غاضبًا:

ـ إذن كان راكو يقصد هزاز ويورا، لأنتقمن منه إذا ما عاد ولاجعلنه عبرة لمن يتجرأ على مملكة هزاز.

***

وفى يـوم عصيـب غابـت فيـه الشـمس، أتي راكـو ومعـه جيـش كبـير وطلـب مقابلـة الملـك.

سأله الملك:

ـ لمـاذا أتيـت يـا راكـو، أتجـرؤ عـلى دخـول المملكـة بعـد مـا فعلـت.

ـ وماذا فعلت يا سيدي.

ـ كنـت تنـوي قتـل أحفـادي، ونـشرت الطعـام الفاسـد بـين أبنـاء المملكـة.

ـ وهل هناك أدلة لهذه الاتهامات ؟

ـ مـات صغـار الوصيفـة بعـد تنـاول طعامـك، والكثـير مـن أبنـاء المملكـة أصابتهـم الأمـراض.

ـ أجـاب راكـو بغطرسـة ومـا يدريـك أنـه طعامـي، إن مملكتـك معرضـه للهـلاك فقـد ارتفعـت نسـبة الرطوبـة بعـد الإعصـار تهدمـت معظـم بيـوت، وهـذا سـبب كاف لتلـوث الطعـام، وأنتـم كـما رأيـت ضعـاف البنيـة لا حصانـة لأجسـامكم.

صرخ الملك بغضب:

ـ أري فى حديثك نبرة تهديد أكرهها.

ـ لا تقل ذلك يا مولاي، لقد جئتك بما يريحك ويحل مشاكلك.

ـ أيها اللعين، سوف آمر بقتلك ومن معك.

ضحك راكو قائلا:

ـ لن تقدر، فمعي جيوش بأمر منى يَدُكون قصرك، لكن أنا لا أريد ذلك.

ـ وماذا تريد ؟

ـ لقد صار لي حق فى أرضك.

الملك فى غضب:

ـ هذا لن يكون أبدًا.

رد راكو:

ـ لقد كان يا سيدي بالفعل، لقد اشتريت البعض من ديارك وقد استلم أصحابها الثمن وغادروا إلى بيوتهم الجديدة.

قال الملك وهو لا يزال غاضبًا:

ـ لا لم يحدث ذلك، أنت إما واهم أو كاذب.

قال راكو فى ثقة:

ـ بل أنا صادق ولن أضيع وقتي فى حديث لا طائل منه إن أمتعتي الآن فى هذه الديار.

ـ نذل.. جبان هكذا صرخ الملك فى وجه راكو.

راكو بكل برود:

ـ أهدأ يا مولاي حتى نتفاهم على بقية الأمور.

قال الملك بعد أن حاول التماسك:

ـ ماذا عندك أيها الشقي؟

احتدم النقاش بين الملك هيرو وراكو فأسرع أحد جنود الملك إلى هيرام حيث النفق وكان سنجو فى صحبته، فأسرعا إلى القصر، دخل هيرام على قول راكو:

ـ سيدي أنت تحكم مملكة هزاز والآن المملكة نصفها من هزاز والنصف الآخر من قبيلة راكو، يعنى الحكم يكون مناصفة بيننا.

أمسك هيرام براكو ليقتله، نهره الملك:

ـ ليست هذه أخلاق الملوك، لا تقتل إلا فى ساحة المعركة.

قال راكو وهو لا يزال فى منتهي البرود:

ـ إذن لقد اخترت الحرب يا مولاي.

الملك بكل ثقة:

ـ لن تأخذ شبرًا من مملكة هزاز طالما أسرة هزاز على قيد الحياة.

***

نادي منادي الحرب لجمع الجيوش، أعلن هيرام أنه سيقود الجيوش بنفسه.

وفى الخفاء قابل سنجو الخائن راكو ودار بينهما هذا الحديث.

سنجو:

ـ لقد تعجلت فى اختيار توقيت الحرب ونحن لم نتفق على ذلك.

قال راكو:

ـ لا يـا سـنجو، هـذا أفضـل وقـت، معظـم أبنـاء المملكـة فى هـزال أو فى مـرض مـن أثـر الطعـام الفاسـد.

سنجو يسأله باستغراب:

ـ لم نرتب معًا، كيف أستطيع مساعدتك.

قال راكو بكل هدوء:

ـ أنا لست فى حاجة إليك نهائيًّا.

سنجو وهو لا يزال مستغربًا:

ـ ماذا تعني؟!.

قال راكو بكل وقاحة:

ـ أعنى أن دورك انتهي بالنسبة لي.

صرخ سنجو فى وجهه:

ـ ألن تقاتل لحسابي كما اتفقنا؟.

ضحك راكو بشراسة:

ـ أنـا ما تعـودت أن أقاتل لحسـاب أحد، أنا أقاتـل لنفسي فقط

قال سنجو:

ـ وعهدنا؟.

واصل راكو كلامه بتهكم.

ـ الخائن لا عهد له.

سنجو بغضب:

ـ سأقتلك.

راكو بثقة:

ـ لن تقدر، لقد أرسلت إلى الملك من يوشي بك ويخبره أنك خائن.

سنجو وهو غير مصدق:

ـ هل تمزح؟.

راكو:

ـ أنا لا أمزح فى عملي، أستطيع قتلك الآن، لكن الملك أولي بقتلك مني.

هَـم سـنجو بقتـل راكـو فلـم يسـتطع فحجمـه فى حجـم رجـل واحـدة مـن أرجـل راكـو.

قال راكو بغرور:

ـ أسـتطيع الآن أن أسـحقك بقدمـي، لكـن أنـت عنـدي أقـل مـن أن أفعـلَ بـك ذلـك، ثـم إنـك مقتـول لا محالـة.

تـرك راكـو سـنجو يرتعـد خوفًـا وانـصرف، وكان هـيرام مختفيًـا يسـمع الحديـث كلـه وبعـد انـصراف راكـو خـرج إلى سـنجو..

قال سنجو وهو يرتعد:

ـ سـيدي هـيرام أرجـوك لا تصدقـه، كنـت أجاريـه لأعـرف منـه الأخبـار وأقولهـا للملـك.

قال هيرام:

ـ الخيانـة فى دمـك، لا تختلـف عـن جـدك، لقـد أخطـأ الملـك عندمـا عفـا عنـك وأنـت صغـير.

التفـت هـيرام لجنـوده وأمرهـم أن يقيـدوه ويذهبـوا بـه إلى الملـك.

وفى القصر كان سنجو يرتجف أمام الملك وهو يدرك أنه ملاقي الموت لا محالة..

أقبل الملك فأسرع إليه ليُقبل يديه وقدمه، ثم قال متوسلاً:

ـ العفو يا مولاي.

الملك بعنف:

ـ لا تتكلم عن العفو، وقد بعت أرضك للغزاة، ليس لك إلا القتل.

نادى الملك:

ـ أين الأمير هزاز الأصغر؟.

أسرع هزاز:

ـ أنا طوع أمرك يا جدي.

قال الملك:

ـ أقتل هذا الخائن، فأنت حفيد هزاز الأكبر، والأولي بقتله.

صرخ سنجو وكانت هذه أخر صيحة له فى الحياة.

قال الملك لجنوده:

ـ أحملوه خارج المملكة واحرقوه، ليعلم الجميع أن هذا جزاء الخائن.

***

زاد المرض على الملك هيرو من وطأة الأحداث، لكنه يقاوم كالأسد الجسور ويعطي خبرته وتوجيهاته فى فنون الحرب لابنه هيرام الذى يقود الجيوش.

دخل هزاز الأصغر على الملك ليطمئن عليه، ثم استأذنه ليشترك فى الحرب.

رد الملك بحنان:

ـ أنت لا تزال صغيرًا يا ولدي.

رد عليه بشجاعة:

ـ لم أعد صغيرًا، ثم لابد أن أكون بجوار والدي أشد من أزره.

عقب الملك على كلامه:

ـ الحروب كثيرة، أعدك فى المرة القادمة إن شاء الله.

ألح هزاز على الملك ألا يحرمه شرف المشاركة حتى وافق الملك داعيًا أن يحفظه الله ويكتب لهم النصر

ـ دخلت يورا فى نفس الوقت على جدها، وقالت:

ـ وأنا أيها الملك؟.

ضحك قائلاً:

ـ وماذا ستفعلين يا أميرتي الجميلة؟..

يورا بثقة:

ـ أجمع إناث المملكة، لنعالج الجرحى ونحمل الموتى بعيدًا عن ساحة القتال، ونشد من أزر آبائنا وإخواننا.

قال الملك:

ـ إنك لن تقدرين يا فتاتي، أخشي عليكِ وطأة الحرب،

قالت يورا وهى لا تزال تحتفظ بثقتها فى نفسها:

لا يا مولاي، أنا حفيدة هيرو، والشجاعة تجري فى دماي لا تخشي علىَّ.

قالت الملكة سيرو:

ـ اتركها أيها الملك، وليحفظها لنا المولي ويطيل فى عمرك، وينجي المملكة من الغزاة.

خرجا سويًّا ذهب هزاز إلى أبيه فى ساحة القتال وذهبت هى إلى إناث المملكة تجمعهن ليلحقن بالجنود.

ومع تباشير الفجر زادت حدة المعركة شراسة والتحم الجيشان ورغم ضخامة جنود قبيلة راكو إلا إن جنود هزاز قد استبسلوا فى الدفاع عن أرضهم، وقتلوا الكثير من قبيلة راكو، وذلك كله بسبب شجاعة هيرام واستبساله فى القتال فزرع الحماس فى قلوب جنوده، حتى هزاز الأصغر كان يقاتل ببسالة كأنه جندي مدرب متمرس، أما يورا وصديقاتها فكن يقمن بعلاج الجرحى وسقايتهم وحمل الشهيد منهم بعيدًا عن ساحة القتال.

كادت الحرب أن تنتهي بانتصار هيرام لولا راكو الملعون الذى طلب من جنوده أن يلتفوا حول هيرام ليصنعوا سورًا يحجبه عن جنوده ثم يقتله، وفى دقائق كانت الخطة قد أُحكمت وسقط هيرام شهيدًا أمام ابنيه هزاز ويورا، أما هزاز فقد وجه لراكو ضربة فقأت إحدى عينيه،

وأسرعت يورا وصديقاتها إلى أبيها لتحمله خارج ساحة القتال.

عندما بدأ الظلام كان صفير الهدنة قد أعلن توقف القتال، وكانت الساحة مغطاة بالجثث من الطرفين، وفى حين ترك راكو قتلاه نهب للحشرات ولم يحترم قدسيتهم..

كانت يورا وصديقاتها لا يزلن يحملن الشهداء إلى ديارهم بعيدًا عن ساحة القتال، وهن يرددن بعض الترانيم الوطنية الخاصة بالمملكة.

حمل هزاز وبعض الجنود الشهيد هيرام إلى داخل القصر ليُلقي الملك عليه نظرة أخيرة قبل دفنه فى مقابر الأسرة..

حبست الملكة سيرو دموعها... قبلته، وقد بدت صلبة قوية ثم قالت:

ـ حمدًا لله أنك نِلت شرف الشهادة.

أما الملك فقد قال وهو يظهر صمودًا لا مثيل له:

ـ كنت عينيّ فى الحياة،ة وأنفاسي التى أحيا بها، لأنتقمن لك ولكل الشهداء مادام قلبي ينبض.

عقبت الملكة:

ـ أطال الله عمرك لتصون مملكتك من الغزاة، وقد شرفك الله باستشهاد ولدك. وليشرفنا الله بالشهادة مثله.

قام الملك بدفن ابنه ثم أعلن الحداد عليه.

سعد راكو بقرار الهدنة ليرتب جنوده ويزيد من عتاده فقد استهان بهيرو وتخيل أن الاستيلاء على المملكة أسهل ما يكون بعد شرائه الكثير من أراضيها التليدة، وقد خاب ظنه فمن لم يبع هم أصحاب المبادئ وإن كانوا ضعاف البنية إلا إن قوتهم فى عقيدتهم وإيمانهم بمبادئهم وحبهم وولائهم لأرضهم وأرض أجدادهم.

اتصل راكو بأعوانه فما كان له أن يقف أمام هيرو بمفرده بل له أعوان فى الخفاء يمدونه بالعدة والعتاد، لأن مصلحتهم أن ينتصر راكو فكما أن له مصالح فى مملكة هيرو هم أيضًا لهم مصالح أخرى، فالمملكة غنية بكنوزها ولها موقعها المهم تحت أشجار الزيتون التليد، الذى يجعلها ذات هواء صحي وبرودة معتدلة وكأنها الجنة لمن يقصدها، وفوق ذلك كله هم يريدون أن يأمنوا شر راكو فلا عزيز له بل يفعل أي شيء وكل شيء من أجل الوصول

إلى ما يريد على مبدأ «الغاية تبرر الوسيلة» وهو غايته «مملكة راكو العظمى»

طار خبر استشهاد هيرام ولي العهد إلى مملكة سنغور وهى أقرب الممالك لمملكة هزاز، قرر الملك سنغور الذهاب لعزاء صديقه.

وفى قصر الملك كان اللقاء حزينًا، عانق سنغور صديق عمره قائلاً:

ـ مصابك هو مصابي يا هيرو، كيف لم تخبرني بما آل إليه حال مملكتك.

الملك بحزن:

ـ لقد أرسلت إليك وزيري سنجو بعد الإعصار ليطلب منك المساعدة.

سنغور باستغراب:

ـ لم يحضر إلىَّ أحد ولم أعرف شيئًا عما حدث، لقد أرسلت أحد رعيتى فى العيد الماضي ببعض الهدايا، ألم تصلك ؟!

الملك هيرو:

ـ للأسف لم يصلني شئ.

سنغور وقد زاد استغرابه:

ـ كيف ؟! لقد قابله الوزير وأخبره أنك فى رحلة صيد، وعندما عاد رسولي بدون ردٍ منك ولو حتى تهنئة تألمت كثيرًا، وظننت أنك نسيت صديق عمرك.

قال الملك هيرو:

ـ الآن فهمت كل شيء.

ـ فهمت ماذا ؟

ـ الوزير الخائن سنجو هو من أوقع بيني وبينك لأكون بلا صديق يأخذ بيدي.

ـ ولِمَ..

حكى الملك هيرو لصديقه كل شيء من أول زيارة راكو إلى خيانة سنجو ثم الحرب ومقتل هيرام.

عقب سنفور بحزن:

ـ قلبي معك، الأمر جلل، أنت فى موقف لا تحسد عليه.. ماذا تنوي؟.

الملك بعزم:

ـ لا خيار إلا مواصلة الحرب حتى نطرد الغزاة.

سنغور:

ـ الأمر يستحق التفكير، فكما يبدو أنهم ليسوا بمفردهم.

ـ مهما يكن لن أترك مملكتي لغير أبنائها.

ـ لا تنسي فارق القوة والعتاد.

ـ قوتنا فى إيماننا وعتادنا شجاعتنا وحبنا لأرضنا وصبرنا على الأذى، ألا يكفى كل ذلك.

ـ معك كل الحق، لكن لابد أن تفكر فى الأمر، لو كسبت بعض الوقت لتنظيم صفوفك، وطلب النجدة من جيرانك.. لكان ذلك من مصلحتك، فلا تتعجل الأمور حتى ترى ماذا هم فاعلون.

قال الملك بأسى:

ـ معنى هذا أنك تريد مني أن أتعايش مع من سلبوا أرضي بحيلهم القذرة، وقتلوا ابني والكثير من أبناء مملكتي وشردوا الباقي وفوق كل ذلك خسارتي المادية، ماذا جري لك يا سنغور؟! أنسيت أنها أرضنا وأرض أجدادنا، أرض طاهرة مقدسة دنسها الغزاة بأقدامهم فمنذ إعلان الهدنة وهم فى حفلات مجون يعربدون حتى الصباح حتى خشيت على مملكتي من تصرفاتهم، فما يفعلونه يخالف شريعتنا ومنهجنا، إن وجودهم دمار ليس لنا فقط بل كل قيمنا ومبادئنا.

قال سنغور:

ـ أنصحك ألا تقاتل الآن فلو خسرت المعركة ستخسر بقية أرضك ويحدث ما تخشاه، انتهاء مملكة هزاز إلى الأبد، وهذا ما يسعون إليه، عمومًا سأعود إلى مملكتي لأرسل لك بعض المؤن وسأعاود الاتصال بك.

ـ يفعل الله ما يشاء.

***

عـاد سـنغور إلى مملكتـه وبـدأ فى تحصينهـا جيـدًا مخافـة أن يصلـه أذي راكـو، وقـرر ألا يشـترك فى الحـرب حتـى لا يصطدم براكـو وفى نفـس الوقـت يسـاعد صديقـه سِرًّا.

أمـا الملـك هـيرو فقـد عقـد اجتماعًـا طارئًـا، رغـم مرضـه وكان يتحامـل عـلى حفيـده هـزاز، وأصرت يـورا أن تحـضر الاجتـماع وأن تكـون بجـوار أخيهـا حتـى يقتصـوا مـن قاتـل والدهـا وتعـود الأرض لأصحابهـا.

بدأ الاجتماع بعرض هزاز الموقف العسكري لهم.

ـ فقـد اسـتولي راكـو عـلى الحافـة الشرقيـة للمملكـة واسـتقر وهـو الآن يقيـم المنـازل لعائلتـه والحصـون العسـكرية لجنـوده.

قالت يورا:

ـ حسـب البحـث الاجتماعـي الـذى قمـت بـه أنـا وصديقاتي فهـم يـزدادون بكثـرة سـواء مـن التـزاوج أو مـن وفـود تُقبـل عليهـم ليـلاً مـن طـرق كثـيرة، وقـد أقامـوا نفقًـا عميقًـا لا أدري مـداه.

تكلـم «حـاتي» وهـو أحـد الجنـود البواسـل وصديـق هـيرام الحميـم:

ـ لـو أذنـت لي أيهـا الملـك أن اخـترق النفـق وأنقـل لـك أخبارهـم.

الملك:

ـ لكن هذا خطر على حياتك.

حاتي:

ـ لـن تكـون حيـاتي أغـلى مـن حيـاة هـيرام رفيـق طفولتـي، كلنـا فـداء للوطـن.. وأنـا لـن أقـوم بذلـك وحـدي سـيعاونني بعـض الجنـود.

حضرت الملكة سيرو وفى يدها بعض متاعها، قالت:

ـ خـذ هـذا أيهـا الملـك وأنفقـه عـلى جنـودك، لـو كنـت أقدر عـلى القتـال لمـا تخلفت أبـدًا.

قالت يورا:

ـ تستطعين الكثير يا جدتي.

ـ ماذا تقصدين؟.

أجابت يورا:

ـ من خلال مراقبتنا للغازي علمت أنه لا يزال يُغري ضعاف النفوس ببيع أراضيهم، ومن يرفض يعرض عليه عدم المشاركة فى الحرب مقابل سلامة داره وأسرته، وينشر بين أفراد المملكة أن الأرض أرضه من قديم الأزل وأنه ليس غازيًا بل عائدًا لوطنه بعد أن خرج منه مطرود مظلوم، بل والأكثر من ذلك أنه يستعطف القلوب بقوله إنهم بلا مأوي مشردون مضطهدون بلا ذنب جنوه وكل ما يحلمون به وطن ينتمون إليه ويعيشون فيه فى أمن وسلام مع جيرانهم، وبدأ البعض من سكان المملكة يميلون إلى مهادنتهم متأثرين بكلامهم.

سألت الملكة:

ـ وماذا أستطيع أن أفعل؟.

قالت يورا:

ـ تجمعين أهل المملكة وتقومين بتوعيتهم، وتثقيفهم ثم تحكين لهم تاريخ المملكة، ليتأكدوا أنها أرضنا وأرض أجدادنا، وتخبريهم بالوجه الحقيقي لراكو وأنه ليس إلا غازيًا معتديًا حتى لو بني القصور فى المملكة ومنح الهدايا فكل ذلك ليُعمي عيونهم ويغتصب أراضيهم.

ضم الملك حفيدته لحضنه وقال:

ـ أنا فخور بك يا يورا.

قال هزاز:

ـ أما أنا يا مولاي فستسمع بما أفعله أنا وجنودي فى جنح الظلام.

قال الملك بأسى:

ـ كلكم تتحركون وأنا عاجز لا أقدر على فعل شيء منذ مرضي .

ردت الملكة سيرو:

ـ لا تقل ذلك، أنت الروح التى تمدنا بالقوة والعقل الذى يُفكر، ولا تنسَ أنك قدمت الكثير، وعلمتنا معنى الفداء للوطن، ولا يزال راكو يرتعش لمجرد ذكر اسمك أمامه.

قال الملك:

ـ سيكون النصر حليفنا طالما هذه روحنا.

***

تتوالى الأحداث فكل يوم يكون هناك الجديد فى المملكة، فالملك هيرو ساءت صحته حتى فقد القدرة على الحركة، وأخذت الملكة مكانه، وهزاز ومن معه صاروا كالقناصة فهم يصطادون الغزاة واحدًا تلو الآخر بخطط محكمة بحيث لا يستطيع الأعداء الوصول إليهم.

أما يورا وصديقاتها فيجمعن المعلومات لهزاز وذلك بتجولهن فى أرجاء المملكة كأنهن يتريضن.

أما الملكة فرغم سوء حالة الملك وقيامها برعايته صحيًّا، إلا أنها تواظب على إقامة الدروس لتوعية كل أفراد المملكة وخصوصًا الإناث على اعتبار أنهن صانعات الجنود البواسل... وهكذا صار حال المملكة ما بين مقاتل مصر على طرد الغزاة، أو متخاذل مسالم لا يريد إلا مصلحته فأقام العلاقات مع الغازي ليستفيد منه، أو آخر خائف حمل رحاله وترك المملكة ليبحث عن مكان آخر بعيدًا عن الصراع، أو خائن ما زال يبيع دياره مقابل عطاء وفير يأخذه راحلاً إلى ممالك أخرى يلهو ويبني القصور.

وكان راكو يوقن أن النصر حليفه، لكن بعد ما رآه من شجاعة واستبسال من أفراد المملكة أدرك أنه لن يقدر على

احتلال الأرض بمفرده فقرر أن يذهب لحلفائه الأغوال سِرًّا.

وهم ليسوا من سلالة النمل بل من سلالات الدود الأرضي وطبيعتهم الزاحفة تجعلهم يسيطرون على كثير من الأراضي بقدراتهم على الحفر والانتشار إلى جانب اختراقهم للحقول والحدائق مما جعل ثرواتهم كثيرة ومنافذهم لا حصر لها، لذا نصبوا أنفسهم حكماء على من حولهم ولم يحدث أن الملك هيرو أقام علاقات معهم، وذلك لبعد مملكته عنهم وإصراره ألا يتدخل أحد فى شؤون مملكته.

أما ارتباط راكو بهم فقد كان منذ زمن بعيد، فقد جمع أتباعه من أماكن متفرقة وهو متطلع وعنيد ومن مصلحة كبير الأغوال أن يساعده لبلوغ أطماعه ليأمن شره، ويصير صاحب فضل عليه فلا يجرؤ أن يخالفه.

وصل راكو إلى الأغوال وكان فى استقباله وزيرهم وحدد موعد للقاء رئيسهم. وبعد حفل الاستقبال كان يبدو على غوال رئيسهم أنه غير سعيد بزيارة راكو، وسأله:

ـ ماذا أتي بك ؟ ألا يكفيك ما حصلت عليه ؟.

راكو يرد بمسكنة:

ـ مولاي، إن ذلك بفضلك، ومهما حققت لن أستغني عن عطائك.

سأله:

ـ وماذا تريد ؟

أجاب راكو:

ـ إمداداتك ثم مشورتك لأعمر مملكتي وأحصنها، فهيرو رغم خسائره إلا إن شوكته لا تزال قوية وأبناء مملكته يتمتعون بإيمان وذكاء يساعدهم على اختراقنا رغم شدة حصوننا، حتى النفق الذى بنيناه يخترقونه واخشي أن أصحو على ردمه، نحن الآن فى هدنة إلا إنه لا يمر يوم إلا وجنوده يصطادون من جنودي الكثير بدون أن نشعر بهم، حتى بدأ الخوف يساورني من احتمال انتصاره علىَّ، فأتيت إليك لأستشيرك.

صمت غوال دقائق وفكر ملياً ثم قال:

ـ اتركني حتى أتدبر الأمر، ونلتقي بعد غروب الشمس.

جهـز غـوال لراكـو الكثـير مـن المـؤن كـما وعـده وقابلـه فى الموعـد.

قال له:

ـ وجـدت لـك حـلاً، تخـرج مـن عنـدي إلى مملكـة سـنغور وتطلـب منـه أن يتوسـط لـك عنـد هـيرو لقبـول التعايـش كل منكـما فى أرضـه.

قال راكو:

ـ لكـن سـنغور صديـق لهـيرو ولا يـزال يمد لـه يد المسـاعدة.

رد غوال:

ـ هذا هو سلاحك تطلب وساطته والحقيقة أنك تهدده.

سأل راكو:

ـ ماذا تقصد ؟.

غوال يجيبه بغضب:

ـ سـتظل غبيًّـا جسـدًا ضخـمًا بـلا عقـل، سـتقول لـه إنـك تعلـم بصداقتـه لهـيرو ومسـاعدته لـه، وأنـه ليـس مـن مصلحـة هـيرو أن يسـتمر فى الحـرب ولا مـن مصلحتـه هـو شـخصيًّا، ثم

تعـده أنـك لـن تقـرب أرضـه مقابـل قبـول وسـاطته للصلـح بينكـما ولا تنـسَ أن تذكـر لـه أنـك قـادم مـن عنـد الأغـوال وأنهـم حلفـاؤك.. وهـذا كاف لعـدم اعتراضـه، فكـما تعلـم إن مملكتـه كبـيرة ذات ثـروات وفـيرة لكـن عددهـم قليـل، ولقلـة عددهـم لـن يقـدروا عـلى الحـرب.

قال راكو:

ـ جميل ثم ماذا يا سيدى ؟.

ـ بعدهـا تذهـب إلى مملكـة كابـو وتطلـب مـن الملـك عـدم التدخـل فى الأمـر، مقابـل عـدم المسـاس بأرضـه.

راكو معترضًا:

ـ لا يـا سـيدي، إن حلـم راكـو كل هـذه الممالـك أنسـيت هـذا حقـي وحـق أجـدادي.

ضحك غوال بهستيرية قائلاً:

ـ راكـو لقـد صنعنـا الأكذوبـة سـويًّا فهـل صدقتهـا ؟!.. هـذا الـكلام تقولـه فى غـير مجلـسي، إيـاك أن يأخـذك الغـرور وتتعـدي حـدودك، حينهـا أسـحقك وقبيلتـك ولا ديـة لـك عنـدي.

ـ أعتذر يا مولاي، لن أكررها.

ذهب راكو إلى مملكة سنغور ومعه بعض الهدايا وطلب مقابلة سنغور، شعر سنغور برعب شديد عندما رأي راكو وجنوده... تماسك واستقبله وفى المجلس سأله

ـ خير ماذا أتى بك لم يكن يومًا بيننا مصالح.

قال راكو:

ـ أخطأت أيها الملك مصالحنا تلتقي فى خط واحد لذا سأعقد معك اتفاقًا، أنت تقنع هيرو بالتفاوض معى وأنا أعدك ألا أقرب أرضك، لا أريد منك ردًّا الآن، إن مملكتك لا تبتعد كثيراً عن مملكة هزاز.. حاول أن تحافظ عليها وعلى رعيتك فلا طاقة لكم بالقتال وأذكرك إنى قادم من عند الأغوال فلست وحدي.

ترك راكو سنغور بعد أن زرع الرعب فى قلبه ثم توجه إلى كابو الذي أبدى اقتناعه بالكلام وأعطاه الوعد ألا يتدخل فى الأمر.

***

عندما عاد راكو من رحلته وجد جنود هزاز قد اخترقوا النفق ووصلوا إلى مخابئ المؤن وأخذوا منها الكثير إلى جانب قتلهم الكثير من جنوده وهدمهم الكثير من حصونهم.

اشتد ضيقه وغضبه عليهم، لكن تذكر نصيحة غوال بألا يلجأ إلى الحرب الآن فالتزم بذلك وكتم غيظه حتى يحين الوقت.

أما سنغور فقد أتي لزيارة الملك هيرو لاشتداد المرض عليه ودار بينهما هذا الحديث.

هيرو فى أسي:

ـ أخشى أن تنهار مملكة هزاز ويضيع ما صنعه أجدادي فيلزمني وأسرتي العار.

قال سنغور يهدئ من روعه:

ـ إنك بمفردك تواجه جيشًا جرارًا، وكلنا يعلم أنه ليس بمفرده بل من ورائه الأغوال واخشي إن استمرت الحرب أن تخسر باقي أرضك ويأتي الأغوال إليها وحينها لن يكون هناك ممالك للنمل ونصير عبيدًا لهم.

أجابه الملك هيرو:

ـ هل تتصور أن راكو يميل إلى المهادنة ويكتفي بما أخذه إن أطماعه بلا حدود، لو تركنا له هذا الجزء سيستبيح باقي الأرض وبعدها الممالك الأخرى، حينها حقًّا سيأتي الأغوال إلينا، ولن تقوم لنا قائمة بعدها وستضيع أراضى الزيتون.

ـ وماذا أنت فاعل ؟

أجابه الملك:

ـ لا بديل عن الحرب حتى آخر جندي، أما العيش بكرامة أو الموت والشهادة، وحسبي أنني لم أخن بلدي ولا عهدي لرعيتي.

ـ ليكن الله فى عونك، وأنا سأدعمك بكل مواردي، لكن أرجوك ليكن سر بيننا.

عاد سنغور إلى مملكته حزينًا على صديقه، والخوف ينهش قلبه أن تدور الدائرة عليه.

وفى مملكته اجتمع برجاله فمنهم من أيد هيرو فى موقفه وأبدي استعداده للذهاب إلى مملكة هزاز والاشتراك فى مقاومة الغزاة قائلين:

ـ لـو لم نذهـب لهـم الآن لأتـوا هـم إلينـا وحينهـا يـزداد غرورهـم ولا نسـتطيع مقاومتهـم ولـن يتركـوا لنـا أرضًـا.

وآخرون اعتزلوا الأمر قائلين:

ـ لا طاقة لنا براكو والأغوال من ورائه.

وصـل سـنغور إلى قـرار رآه صائبًـا، أن يسـاعد هـيرو سراً وأن يـترك مـن الرعيـة مـن يريـد الذهـاب للقتـال فربـما يحالفـه النـصر فيكـون لـه فضـل فيـه وقـد حمـد هـيرو لسـنغور موقفـه وعـذره فى خوفـه .

أما كابو فقد أرسل ولاءه للأغوال وتأييده لهم.

وعندما علم هزاز بما فعله كابو.. قال لجده:

ـ كان والدي محقًّا عندما أراد محاربته.

رد الملك:

ـ لا يـا ولـدي إيـاك أن تفعـل ذلـك، الإخـوة لا يشـهرون السـلاح فى وجـه بعضهـم مهـما كان الخـلاف هـذا مـا يريـده العـدو لنـا، أن يقـضي بعضنـا عـلى بعـض ثـم يفـوز هـو بـالأرض، لا تشـغل بالـك بـه الآن.. مـاذا عـن أخبـار الجيـش

قال هزاز:

ـ لا تقلق أيها الملك وراءك جنود مقاتلة لن تهدأ حتى تنال النصر ولن تفرط فى الأرض حتى أخر نفس لها.

مرت أيام ثم أرسل راكو إلى الملك هيرو طالبًا مقابلته للتفاوض... وافق الملك أن يقابله ليسمع ما عنده.. أتي راكو محملاً بالهدايا، رفض الملك قبولها وسأله:

ـ لماذا طلبت مقابلتي.

راكو بخبث:

ـ لا أدرى، لماذا هذا العداء، لقد أتيت إليك بكل حب، لنطوي الصفحة الماضية، ونبدأ عهدًا جديدًا.

رد الملك:

ـ لا عهد بيننا أنتم غزاة، ولن ندعكم حتى تتركوا ديارنا.

قال راكو:

ـ أما كفاك حربًا يا هيرو، لقد خسرت ابنك، ولحق الدمار بأرضك.

نهره هزاز بعنف:

ـ أيها الشقي تأدب فى حديثك مع الملك.

ضحك راكو بسخرية وقال:

ـ إذن أنت هزاز الأصغر، أُحيَّ شجاعتك رغم صغر سنك... أنت من فقأت عيني، حقاً تشبه جدك الأكبر.

قال هزاز بغضب:

ـ وماذا تعرف عن جدي، لولا أني تعلمت أن القتل فى غير ساحة القتال نذالة وجبن لمزقتك أربًا.

واصل راكو سخريته:

ـ أعرف عن جدك أكثر مما تعرفه أنت، فبيننا صلة دم، وكان فيما مضي أجدادي وأجدادك على أرض واحدة.

صرخ الملك هيرو فى وجهه:

ـ كاذب، لا صلة بيننا، أجدادي أشراف، وأنتم لا أصل لكم، أنت تعلم جيدًا من جمعكم وجعل لكم كيانًا، أحذرك يا راكو لن يكون لكم وطن على أرض الزيتون.

قال راكو:

ـ أذن أنت مُصرٌّ على الحرب.

رد الملك:

ـ لا سبيل غيرها، وإن كان ولدي مات فكل رعيتي أبنائي، نحن لا نخشى الموت.

راكو بغيظ:

ـ لك ما تريد، وسوف تندم كثيرًا أيها الملك المغرور.

***

بدأ هزاز فى تنظيم الجيش استعدادًا للحرب، فقد نقلت له يورا أن العدو قد أتاه الكثير من الإمدادات وأنه يزيد من حصونه، ومعنى ذلك أن الحرب قد أوشكت.

وفى هذه الأثناء أرسل هيرو فى طلب حفيده وأمه روجا، أسرعت روجا إليه... أخبرها أنه سيعلن زواج هزاز

سألته:

ـ مولاي كيف ذلك ؟! والحرب.

أجابها:

ـ إن زواجه جزء من الحرب.

ـ أنا لا أفهم شيئًا.

ـ سيحضر هزاز وتفهمين كل شيء.

حضر هزاز فقال له جده:

ـ كما تري يا ولدي إنها النهاية.

قال هزاز:

ـ لا تقل ذلك سيطول عمرك حتى تري النصر، وتعود مملكة هزاز لأصحابها.

رد الملك:

ـ قد اقترب الأجل، اسمعني جيدًا يا هزاز... لابد أن تتزوج الآن لتمتد أسرة هزاز حتى لا يقضي راكو على نسلنا، فكما تعلم إن قبيلة راكو تتكاثر بشراسة، وهذا من ضمن أسلحتهم، ونحن فى حاجة لهذا السلاح أيضًا.

سأله هزاز:

ـ فيما تفكر يا مولاي، أشعر أن عندك خطة.

ضحك الملك قائلاً:

ـ نعم، كنت أتمني أن يكون زفافك مثل زفاف أبيك لكن، سيكون الزواج هو خطتنا لتضليل راكو، ستعلن فى المملكة كلها عن حفل زواج ولي العهد، وأكيد ستصل الأنباء إلى راكو، وحينها نضرب ضربتنا.

سأله هزاز:

ـ وما هي أيها الملك الذكي.

أجابه الملك:

ـ نردم نفقهم فوق رؤوسهم بعد أن نأخذ كل ما فيه من مؤن، وبعدها يكون حفل الزفاف والانتصار.

ضحكت روجا وسألته:

ـ ومن العروس؟.

قال الملك:

ـ الرأي لهزاز، من تختار يا هزاز.

رد هزاز:

ـ سنو ابنة حاتي رفيق أبي فى الجهاد وهذا بعد إذنك.

سأله الملك:

ـ وهل رأيتها ؟

ـ نعم، هى ترافق يورا فى جمع الأخبار ونقلها لنا، كم هى ذكية وجميلة.

قال الملك:

ـ سأموت وأنا مطمئن على المملكة...

آتي جندي مهرولاً وقال:

ـ مولاي هناك أنباء عن حشود للعدو على حافتنا الغربية.

هزاز بثقة:

ـ الآن يا جدي نبدأ تنفيذ الخطة، نوهم العدو أننا نلهو ونلعب، فيطمئن ويسهر فى مجونه حينها نفعل ما نريد.

انشرح صدر هيرو لما يقوم به حفيده هزاز رغم صغر سنه .

وقال لزوجته:

ـ حمدًا لله كنت أخشى على المملكة بعد وفاة هيرام ثم مرضي وقرب أجلي، أما الآن فقد أطمأن قلبي.

قالت روجا والدة هزاز:

ـ يا مولاي إنه ابن الشهيد هيرام وجده الملك هيرو المغوار وعلى اسم جده الأكبر هزاز.

سأل الملك زوجته:

ـ أتظنين أن النصر سيكتب لنا رغم أن راكو وراءه الأغوال.

رددت بثقة:

ـ كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله، مولاي أنا أوقن أن النصر لنا وستراه بعينيك.

رد الملك:

ـ النصر لنا بإذن الله، أما أن أراه بعيني فأشك فى ذلك، فأنا أشعر باقتراب أجلي.

هي بحزن:

ـ لا تقل ذلك يا مولاي، فأنت زوجي وكل عشيرتي.

سألها الملك:

ـ حقاً يا سيرو أمازلت تحبينني رغم كبر سني وعجزي؟.

ـ لا تقل ذلك ما كنت عاجزًا أبداً لكنها الحياة يا مولاي.

قال الملك بحنان:

ـ أشهد أنك نعم الزوجة ونعم الملكة التى تتفاني فى رعاية مملكتها والخوف عليها.

بكت روجا وهى تسمع ذلك، سألها الملك:

ـ لماذا تبكين يا روجا.

ـ كنت أود أن تكون حياتي مع هيرام مثل حياتكما ولكنه سرعان ما تركني أعاني فراقه.

قالت الملكة سيرو:

ـ هوني عليكِ يا روجا إنه شهيد، وكلنا حولك لن نتركك ولا تنسي أنك أم ولي العهد «هزاز الأصغر».

رددت روجا:

ـ الحمد لله يا مولاتي، بارك الله فيه ونصره وحفظه وأخته من كل سوء.

***

انتشر خبر زواج الأمير هزاز فى أرجاء المملكة، وشارك الجنود إناث المملكة فى الغناء والرقص حتى لاحظ جنود راكو ما يحدث فأصابتهم الدهشة:

وقال أحدهم:

ـ هل هؤلاء القوم مجانين يعلنون الزواج وهم فى حالة حرب؟!

رد الثاني:

ـ بل نحن المجانين منذ أن دخل راكو هذه الأرض ونحن فى حالة حرب، وقد وعدنا أنها ستكون نزهة ونقضي عليهم فى ضربة واحدة، ولم يحدث هذا والأكثر من ذلك تركنا نقاتل وهو وحاشيته يقضون الليل فى سهر ومجون.

عقب آخر:

ـ أنظر لإناثهم وهن يتراقصن، رشاقة وجمال يبدو أنه ليس عندنا إناث.

ضحك الأخر وقال:

ـ هذه غلطتنا نطعمهم الكثير ولا عمل لهن، ما رأيكم أن نلهو مثلهم.

رد أحدهم:

ـ لو علم راكو سيقطع رقابنا فنحن جنود الحراسة هذه الليلة.

رد زميله:

ـ لن يدري بنا فهو غارق فى لهوه، وفي الصباح سنعود إلى أماكننا.

اتفق الجميع على أن يقضوا ليلتهم هذه فى لهو، وهذا ما أراده هزاز.

بدأ هزاز وجنوده فى اختراق النفق وأخذ كل ما فيه والذهاب به إلى خزائنهم، ثم كان دور حاتي ومن معه وهي

ردم النفق بعد أن علموا إلى أي حد يصل، وقد كان متفرعًا من الداخل طرقًا كثيرة.. طريقًا للأغوال وآخر إلى مملكة سنغور وثالثًا إلى مملكة كابو.

عاد جنود هيرو إلى قواعدهم بعد أن تم كل شيء بلا خسائر، وعندما علم راكو بما حدث غضب غضبًا شديدًا وتوعد:

ـ أن يسحقهم عن آخرهم، وعلم غوال بما حدث فقرر أن يزور مملكة هزاز بنفسه ويضع حداً لما يحدث.

كان يوم قدومه هو يوم زواج هزاز على الأميرة سنو فقال غوال للملك هيرو:

ـ جئت لأطمئن عليك وأهنئك بزواج حفيدك.

سأله:

ـ وكيف عرفت؟

أجاب:

ـ غوال لا يخفى عليه شيء، ألا توقف هذه المجازر أيها الملك الرحيم، أين رحمتك إنهم أبناء عمومتك.

أجابه بحزم:

ـ ليسوا أبناء عمومتي، ورحمتي تسع كل رعيتي.

قال غوال:

ـ إنك إما أن تكون ناسيًا أو مغالطًا للتاريخ.

رد بغضب:

ـ ما لكم أنتم يا أغوال بتاريخنا، وماذا تعرفون عنه فالذي تتكلمون عنه لم يكن لكم وجود أثناء حدوثه.

رد عليه:

ـ دعك من التاريخ، أين الحب والوئام، لماذا لا نكون جيرانًا وإخوانًا متحابين.

ـ عجباً لك أتريد مني أن أعيش فى حب ووئام مع من اغتصب أرضي غدرًا وقتل أبنائي ويريد تدمير مملكتي ليصنع مملكته.

غوال:

ـ إنه مضطر لكي يؤمن نفسه، لو كانت قبلته في أرضك ما فعل ذلك.

قال الملك:

ـ بل لو كان يشعر أنه صاحب حق ما خاف وما احتاج أن يؤمن نفسه لكنه يدرك أنه مغتصب.

غوال بخبث:

ـ وماذا لو تنازلت له عن الجزء الذى يحيا فيه، واكتفيت بما لديك وبذلك تنتهي الحرب.

الملك ضاحكًا:

ـ لدي اقتراح، ماذا لو أخذتهم أنت فى مملكتك الواسعة وأعطيتهم قطعة منها ودًّا ومحبة كما تزعم وتصير أنت صاحب فضل فى إنهاء الصراع.

غضب غوال وقال منذرًا:

ـ لقد تعديت حدودك، ولا تدرك العواقب الوخيمة لعنادك وسوء تصرفك، أنت بذلك تحكم على مملكتك بالفناء.

الملك بإصرار:

ـ أنت واهم، نحن أصحاب تاريخ ولنا جذور لن تُقتلع من أرضنا التى كلما أخذت شهيدًا منحتنا آخر حتى تعود الحقوق لأصحابها، ولن يكون الفناء إلا للمعتدي الأثيم ومن لا جذور له ولا تاريخ.

انتهى اللقاء بين الملك وغوال ولم يحقق غرضه، لكن أمر الملك الأمير هزاز بمرافقة غوال فى موكبه حتى خرج من المملكة حرصًا على التقاليد.

عاد غوال يحمل بين ضلوعه غلاً وحقدًا أسود لهذا الملك العنيد الذى يذكره دومًا أنه وضيع بلا جذور مهما ملك من الحصون والموارد.

قال هزاز لجده:

ـ اِحكِ لي عن تاريخهم.

قال الملك:

ـ أيهما تقصد راكو أم الأغوال.

قال هزاز:

ـ أقصد قبيلة راكو، هل هم حقًّا أبناء عمومتنا.

الملك:

ـ لا يـا ولـدي، مـن قديـم الأزل وهـم شرذمـه متفرقـة عـلى الممالـك ومصـدر للمتاعـب، وذلـك لأن قلوبهـم قاسـية ونفوسـهم لا تقنـع بـما فى أيديهـم إلى جانـب أنهـم لا عهـد لهـم ولا ميثـاق، دائمـو الخيانـة حتـى كرهتهـم كل الممالـك.

واصل هزاز أسئلته:

ـ وما حكاية أنهم مضطهدون.

أجابه الملك:

ـ هـذا افـتراء إن طباعهـم السـيئة هـى سـبب رفـض الغـير لهـم، فهـم إمـا يبـدؤون بالحـرب كـما فعلـوا معنـا، أو يخونـون الأمانـة فتطردهـم الممالـك، أو يعصـون الأوامـر ويخالفـون طقـوس الممالـك فيكـون ذلـك سـببًا لعقابهـم، وأحيانًـا كثـيرة يقيمـون وسـط قـوم ويتفقـون مـع عدوهـم عليهـم فيكـون ذلـك سـببًا كافيًـا لطردهـم.

هزاز:

ـ الآن تأكـدت أن النـصر لنـا، فلـن ينـصر الله قومًـا هـذه طباعهـم.

الملك مداعبًا حفيده:

ـ كفاك حديثًا واذهب إلى عروسك لقد تأخر الليل.

***

ذهب راكو سِرًّا إلى غوال ليعلم نتيجة زيارته لهيرو، صرخ غوال فى وجهه.

ـ ألا تخجل من نفسك، معك كل الأسلحة وأنت الأقوى والأكثر عددًا ولم تستطع القضاء عليهم رغم أنهم لا يملكون عُشر عتادك.

قال راكو وهو يظهر قلة الحيلة:

ـ مولاي إنهم أذكياء مترابطون أصحاب حروب.

قال غوال:

ـ وأنتم جبناء، أغبياء، أصحاب مجون، كيف تريد الاستيلاء على كل ممالك النمل، وأنت فشلت مع هيرو.

قال راكو:

ـ بتعاونك معى يا مولاي، لو أعطيتني بعض الجنود وسلاحك الفتاك، لن يبقي لهم أثر.

غوال بغضب:

ـ أيها الأخرق، هل تريد أن تجمع ممالك النمل كلها ضدي، ليس لي حق، فى محاربتهم علنًا، أنسيت «الحفارين» أنهم متربصون بي لأخذ الصدارة مني، هل تظن أنني سأضحي بسيادتي من أجلك؟ أنت واهم، أنا صنعتك وقادر على تحطيمك.

راكو بغضب:

ـ لا أيها الملك هذا كثير، لا تنسَ أن مصالحي ومصالحك واحدة، فأنت من زرعتني بين ممالك النمل لأكون شوكة فى ظهورهم فلا تقوم لهم قائمة وتقوى أنت عليهم، إنك تخشاهم مثلي تمامًا بل أكثر مني، فأنا أريد السيادة عليهم فقط، أما أنت فتريد سيادة كل حشرات الأرض، وليس النمل والحفارين فقط أليس كذلك؟.

صرخ فى وجهه:

ـ أغرب عن وجهي قبل أن أقتلك، لا أريد أن أراك وما تحتاجه سيصلك هناك.

عـاد راكـو وفى قلبـه غيـظ كافٍ لحـرق كل مـا حولـه، جمـع جنـوده وقـال لهـم:

ـ سـنحرق بيـوت الملـكات بـما فيهـم قـصر الملك هـيرو وكل بيـوت الصغـار، وبذلـك يكـون القضـاء عـلى باقـي المملكـة أمـر يسـير.

أعترض جندي من جنوده قائلاً:

ـ لكـن هـذا يخالـف ميثـاق شرف القتـال، كيـف نقتـل إناثًـا وصغـارًا عـزل.

صرخ راكو فى وجهه:

ـ لا شأن لك، ميثاقي هو الانتصار بأي ثمن.

قال الجندي:

ـ لن أشترك فى هذه الحرب.

حينها ألقاه راكو أرضًا وسحقه بأرجله، ثم صرخ:

ـ هذا جزاء من يخالف أمري.

بـدأ راكـو فى تنفيـذ خطتـه الشـيطانية، وكان ذلـك أثنـاء تواجـد هـزاز وجنـوده عـلى خـط القتـال، ولم يكـن عـلى

القصور والبيوت إلا بعض الجنود للحراسة، ولم يخطر ببال هيرو أو هزاز أن تبلغ الانحطاط براكو إلى هذا المدى.

كان الهجوم شرسًا وخالي من أي رحمة أو احترام لميثاق الممالك، صار راكو كالثور الهائج قاد الحملة بنفسه، وكانت بيوت الإناث أول البيوت التى أحرقها وعلى رأسها قصر الملكة سيرو وقصر روجا والعروس سنو، ثم أسرع بعدها إلى بيوت الصغار فعل ما فعله فى القصور، وقبل أن يسرع بالهرب هو وجنوده كان هزاز قد علم فأسرع بالعودة حيث رأي بنفسه أشلاء الضحايا فى كل مكان امتلأ قلبه هو وجنوده حنقًا بما حدث فانفجر بركان غضبه على راكو وجنوده ونزلوا فيهم قتلاً وتمزيقًا، وعندما اشتدت المعركة وبلغ القتال ذروته، جرى راكو يبحث لنفسه عن مكان يختبئ فيه من هزاز، لكن لم يكن له ما أراد فقد تتبعه ولحق به ثم فقأ عينه الأخرى ومزق جسده وهو يصرخ.

ـ خائن ـ جبان ـ ملعون.. لو أملك لقتلتك بعدد ما قتلت.

ظل هزاز وجنوده وراء جنود راكو لم ينج منهم إلا من فر أو اختبأ فى مخابئ سرية.

انتهت المعركة وأسرع هزاز إلى قصر الملكة سيرو جدته فوجدها لاقت حتفها ثم قصر أمه روجا وجدها تحت أنقاض القصر بدأ يرفع عنهما الأنقاض فى جلد وصبر حسده عليه كل من حوله.

ثم ذهب بعدها إلى جناح الملك هيرو فوجده مهدمًا ولم يجد الملك، أصدر أوامره بالبحث عنه فى جميع أرجاء المملكة.

قال حاتي:

ـ اطمئن يا مولاي أكيد سيظهر، لكن الأميرة يورا ورفيقاتها لم يظهرن حتى الآن.

قال هزاز:

ـ لا تقلق على يورا، أكيد غيرت خط سيرها المهم ماذا فعلت بالضحايا.

قال حاتي:

ـ جمعتهم فى مكان واحد إلا، (سكت حاتي ولم يكمل).

قال هزاز:

ـ إلا الملكة سيرو والملكة روجا سأحملهما بنفسي.

ذهب هزاز إلى جدته وأمه قبلهما ثم قال:

ـ لو كان بيدي لفديتكما بعمري هنيئا لكما الشهادة.

وبعد أن انتهي من نقلهما، تسمرت قدماه ثم نظر إليهما وقال:

ـ يشهد الله أنني أحببتكما أكثر من نفسي، ولم يشغلني عنكما إلا حب الوطن عهد علىَّ ألا يطأ أرضًا دفنتكما فيها أقدام هؤلاء الخونة.

ثم ذهب يبحث عن الملك هيرو فرأي طريقاً ضيقًا مظلمًا، صار فيه مسافة طويلة، وكانت المفاجأة، وجد الملك هيرو ومعه الكثير من صغار المملكة وهو فى لحظاته الأخيرة... أخبره الملك أنه عندما رأي راكو وهو يحرق قصور المملكة علم أنه سيذهب بعدها إلى بيوت الصغار فأسرع وأخذ من استطاع منهم إلى هذا المخبأ السري.

قال هزاز:

ـ أحسنت صنعًا يا جدي، سأحملك لتعود إلى المملكة.

قال الملك:

ـ لا وقت لذلك، المهم اسمعني جيدًا هذه وصيتي الأخيرة، الأرض أرضك مهما قالوا، وما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة، الوطن غال وطاهر لا مكان فيه لأي غاز وليس هناك أنصاف حلول، لا تسمح لهم بالعيش على أرضك فيلحقك العار.

قال هزاز:

ـ لا تقلق يا جدي لن يذوقوا طعم الراحة طالما هم على شبر من أرضي.

عاود الملك كلامه:

ـ هؤلاء الصغار يا ولدي هم الأمل فى الغد، إنهم امتداد جهادنا لا تفرط فيهم، أعلم أن حملك ثقيل، لكن هذا قدرك وهو شرف لك.

صمت الملك برهة ثم قال:

ـ رجائي الأخير ادفني بجوار زوجتى الملكة سيرو، كنت أتمني أن أطلب منها العفو وأنا أري القصر ينهدم عليها من أثر النيران ولم استطع إنقاذها انشغلت بإنقاذ

الصغـــار حتـــى يمتـــد جهادنـــا، اعطنـــي يـــدك يـــا ولـــدي.

هزاز: ها هي يا جدي.

قال الملك:

ـ هـذا عهـد بيننـا، إيـاك أن تـترك بـلادك أو تبيعهـا مهـما كانـت الإغـراءات أو الضغـوط.. لتحيـا أرض الزيتـون وداعـاً ثـم سـقطت يـداه.

حمـل جنـود هـزاز الملـك هـيرو ووضعـوه بجـوار زوجتـه، وهـزاز صامـت حزيـن.

وصلت يورا ومن معها وما أن رأت الضحايا صرخت:

ـ أرأيت أيها الملك ماذا فعل الأوغاد بأهلنا وعشيرتنا.

قال هزاز:

ـ اصبري إنها الحرب.

قالت: هذه ليست حرب بل نذالة وخسة.

سـألها هـزاز أيـن كانـت فأخبرتـه أنهـا عندمـا رأت جنـود راكـو فى هيـاج متجهـين للمملكـة قـررت أن تقـوم هـى ومـن معهـا بهـدم بيوتهـم، وقـد فعلـن ثـم رأتهـم وهـم يدخلـون

مخابئهم مذعورين فاتبعتهم وأجهزت على كثير منهم.

قال هزاز:

ـ لقد عرضتِ حياتك للخطر أنت ومن معكِ وأنتن إناث.

قالت يورا:

ـ كلنا فى خطر طالما العدو على أرضنا، هل فرق العدو بين الذكور والإناث فى هجومه، لا تنسَ أنني ابنة هيرام، وجدي هزاز الأكبر وأخي هزاز الأصغر.

قال هزاز: أحسنت صنعًا وقولاً.

طارت أخبار الحرب إلى كل الممالك، أسرع سنغور إلى مملكة هزاز ومعه الكثير من المؤن والإمدادات لإعادة إعمار المملكة، وحزن حزنًا شديدًا على الخراب الذى حل بها واشتد إعجابه بهذا الشبل الباسل «هزاز» الذى تفوق بقوته على الكثير ممن هو أكبر منه وأكثر عتادًا.

وفى ديار الحفارين كانت المظاهرات اعتراضًا على ما حدث لمملكة هزاز لأنه يخالف أي قوانين للحروب، وأعلن كبيرهم رفضه لهذه الهمجية ومساندته لحق مملكة هزاز فى أرضهم.

أما الأغوال فشعر رئيسهم أنه فى مأزق يحاول الخروج منه، تارة بعرض المساعدة على الملك هزاز الأصغر، وتارة بعرض مشروعًا للصلح يُرضي الطرفين. ولم يستطع إظهار مساندته للغزاة حتى لا يفقد السيادة على من حوله.

وهكذا صارت المعركة حديث كل الممالك وكان ذلك فى صالح مملكة هزاز فقد أيقن من حولهم أنهم لو التزموا الصمت ستدور الدائرة عليهم. فقرروا أن يكون لهم موقف إيجابي.

أما قبيلة راكو فقد اهتزوا كثيرًا بعد المعركة وأدركوا أن خسائرهم فى المعركة أكثر بكثير من خسائر مملكة هزاز.

لم يمر وقت طويل حتى جمعت قبيلة راكو صفوفها واختاروا رئيسًا جديدًا لهم وأعلنوا أن من قام بذلك فئة قليلة لا تعبر إلا عن رأيها وأنهم لاقوا جزاءهم وهم على استعداد للتفاوض مع هزاز والوصول إلى حل وسط.

بدأ هزاز فى إعمار مملكته وأعلن قراره الذى أبلغه لجميع الممالك.

لا اتفاق ولا وفاق مع من اغتصب أرضي وأرض أجدادي وقتل أهلي وعشيرتي لا سبيل إلا المقاومة ستعود

أرضي... ستعود لكن بلا وعود بل بسواعد أقوي من الرعود إنَّا باقون ما بقى طرح الزيتون.

«الملك هزاز»

(تمت)